ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294
المجلد:09 العدد: 01 (2023) ص43/57

دراسة في أقاصيص كتاب قيس وليلى والذئب لبثينه العيسى بناءً على علم النفس التطوري لجان بياجيه

An Analysis of Bothayna El Essa's Short Stories in Qais, Layla and the Wolf According to Jean Piaget's Developmental Psychology

الدكتور بهنام فارسي*
جامعة يزد-ايران
Behnam.farsi@yazd.ac.ir

أسماء قياسوند
طالبة الدكتوراه، جامعة يزد-ايران
a.qiasvand1@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/12/23
تاريخ القبول:
2023/02/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ بثينة العيسى
- ✓ قيس وليلى والذئب
- ✓ علم النفس التطوري
- ✓ جان بياجيه

الملخص:

درس الكثير من علماء علم النفس فى العقود الأخيرة سلوك الطفل ومراحل تطوره منهم جان بياجيه الذي يقسّم حياة الطفولة بناءً على علم النفس التطوري إلى أربعة مراحل. تتناسب بعض الأعمال مع هذه المراحل كقيس وليلى والذئب لبثينة العيسى الكاتبة الكويتية تسعى عبر أقاصيصها أن تزيل المشاعر الكاذبة كالتفاؤل الزائف والثقة العمياء والأنانية عند الأطفال. يستند هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ودرس الباحثان كيفية سرد الكاتبة أقاصيصها وفقاً لمراحل النموّ عند الأطفال وهكذا بحثا عن المعطيات الإيجابية و السلبية لأقاصيص الكاتبة بالنسبة للأطفال و النتيجة تظهر لنا أنّ الكاتبة لا تروى أحداث أقاصيصها وفقاً لمراحل النمو عند الأطفال و هذا ما يمكن أن يُؤدى إلى الآثار السلبية فى نفسياتهم.

Article info

Received
23/12/2022
Accepted
21/02/2023

Keywords:
- ✓ *Botayna Al-Eisa*
- ✓ *Qasis and Lili and AL- Daeb*
- ✓ *Developmental psychology*
- ✓ *Jean Piaget*

Abstract :

In the last few years, many psychologists have analyzed children's behaviors and their developmental stages. Amongst them, Jean Piaget who divided children's lives into four stages based on his theory of developmental psychology. Among contemporary Arab writers, Bothayna El Essa has tried to shatter false illusions such as false optimism, blind trust and self-conceit in children through her stories. This research, based on the analytical-descriptive method, tries to investigate the author's narration based on the stages of children's development. Moreover, it undertakes to analyze the positive and negative consequences of the stories on children. The truths presented in these stories are not suitable for all ages, and in some occasions, can have mal-effects on children's psyche.

*المؤلف المرسل، الاستاذ المساعد بجامعة يزد

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

إن الأدب هو الأثر الذي يوقظ فينا أحاسيس ومشاعر كثيرة ومتعددة عند قراءته أو سماعه. ويولد فينا متعة وانتباهاً، أو يغير مواقفنا واتجاهاتنا في الحياة. كما أنه يعمل على تحريك مواجدنا وعواطفنا، ويزكي وجداننا وعقولنا وأحاسيسنا. أما أدب الأطفال فهو جنس أدبي تفرع عن الأدب العام. وينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من تعريف، إلا أنه يخاطب فئة معينة من المتلقين وهي فئة الأطفال. وأدب الأطفال لايشمل لوناً واحداً بل له عدة ألوان أدبية، تعبيرية، أي أنه يتضمن كل إبداعات الإنسان[1]. تفرع أدب الأطفال من الأدب العام لأهمية نمو الأطفال وتطور فكرهم في المراحل المختلفة ولكن ظل الطفل العربي محروماً من الأدب قروناً طويلة، والذين يهتمون بالدراسات الأدبية يدركون أن أدب الكبار قد استأثر بأقلام الأدباء وجهود المدونين ولم يلتفتوا إلى أدب الطفل ولم يدخل أطفالنا عالم الأدب إلا في القرون الأخيرة[2]. يلعب أدب الطفل دوراً مؤثراً في تشكيل كيفية تفكير الأطفال في العالم وفهمهم له، فالقصص تعد مصادر رئيسية كالمفردات، والتركيبات، و الصور، والتفسيرات، والسلوكيات لكي نكتسب التجربة؛ فغالباً ما يكون للقصص علاقة وثيقة بنوع من أنواع التعليم[3]. لذا إهتم الكثير من العلماء والفلاسفة بعلم النفس التطوري الذي يرتبط بمراحل نمو الأطفال لقد بدأت دراسة المعرفة لدى الفلاسفة القدامى قبل ظهور علم النفس كعلم بفترة طويلة. وكان الاهتمام بدراسة الانسان لدى الفلاسفة القدامى فى اليونان– ومن أتى بعدهم من الفلاسفة والمفكرين ومايتعلق بهذه الدراسة من مشكلات تتصل بالنشاط العقلي المعرفي– خير دليل على إسهام المفكرين الأوائل في بدء وتقدم كثير من العلوم ومنها علم النفس[4]. فدرس الكثير من العلماء والفلاسفة مراحل تطور حياة الأطفال ومنهم جان بياجيه الذي يعتبر من أكبر المساهمين في دراسة التطور والنمو العقلي لدى الأطفال، وقد اهتم لسنين عديدة بملاحظة الأطفال لتحديد قدراتهم الإدراكية[5] لذا يتبين لنا أن علم النفس له تاريخ طويل ليصل إلى تطوره الذي عليه اليوم. يتأثر الانسان طيلة حياته من عوامل وظروف مختلفة، فيتصرف الفرد بناءً على ما عاشه وجربه. فكيفية نمو الشخص في كل مرحلة مهم للغاية وهذا ما بحث فيه جان بياجيه، فبدأ حياته بدراسة البايلوجي، ثم بدأ اهتماماته بعلم المعرفة والتي قادته إلى دراسة النمو المعرفي للإنسان معتمداً على أسلوبه المتميز وعلى ملاحظة الأطفال. يرى بياجيه أن النمو المعرفي هو حصيلة التفاعل بين العوامل البايولوجية (النضج) من جانب والعوامل البيئية (الخبرة) من جانب آخر. إلا أنه يركز بشكل أكبر على العوامل البايولوجية، وهذا ما يظهر من خلال تحدده لمراحل النمو[6]. لذا في هذا المقال سندرس القسم الأول من كتاب ***قيس وليلى والذئب*** لبثينة العيسى بعنوان ***حروف مخلوعة من جسد الحكاية*** والذي تتحدث فيه الكاتبة عن الحكايات الطفولية والكذب الكامن في سطورها. تعتقد بثينة العيسى بأن هذه الحكايات والأقاصيص هي من وهم الخيال وتنمي عند الطفل التفاؤل والثقة الكاذبة. فمثلاً العنزة الأم قتلت الذئب بأبشع الطرق، وسنووايت وثقت بسبعة رجال ولم تعش نهاية سعيدة، والجميلة عانت من أنانية وتكبر الوحش بعد أن أصبح وسيماً، وسام كان سارقاً جشعاً سلب

---

[1] داني، محمد، (2019م)، **أدب الأطفال**، دار البيضاء، ص14

[2] الحديدي، علي، (1988م)، **في أدب الأطفال**، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص6

[3] رينولدز، كيمبرلي، (2012م)، **أدب الأطفال**، مقدمة قصيرة جداً، مصر، هنداوي للتعليم والثقافة، ص14

[4] الشرقاوي، انور محمد، (2003م)، **علم النفس المعرفي المعاصر**، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص3

[5] ميلاد، محمود محمد، (2015م)، **علم نفس نمو الطفل المعرفي**، الأردن، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، ص14

[6] الخامدي، حسين عبدالفتاح، (2003م)، **الإتجاه المعرفي، نظرية بياجيه في النمو المعرفي**، دون مكان، ص1

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

EL TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

حقوق العملاق منه وسيندرلا سمحت لرجل غريب أن يراقصها ويخاصرها ويمسك بيدها فقط لأنه أمير ويبحث عن شريكة حياته من بين آلاف الفتيات. فتؤدي هذه الحكايات بالطفل إلى مشاكل عديدة، فهناك أسئلة يجب الإجابة عنه

1. كيف سردت الكاتبة أقاصيصها وفقاً لمراحل النموّ عند الأطفال؟
2. ما هي المعطيات الإيجابية والسلبية لأقاصيص الكاتبة بالنسبة للأطفال؟

هذا ما سنبحث عنه في هذه الدراسة بعد التعريف بمراحل النمو التطوري وفقاً لنظرية جان بياجيه. ففي كل من المراحل الحسية الحركية، ومرحلة ما قبل الإجرائية، ومرحلة العمليات المحسوسة، ومرحلة العمليات الشكلية يجب علينا سرد قسم من الحكايات بناءً على تفهم الطفل و استيعابه حتى لا يتأثر ولا تتشابك في ذهنه الأحداث وهي أكبر حجماً من عمره ومنطقه الفكري.

1-1-خلفية البحث

لم يدرس كتاب ***قيس وليلى والذئب*** لبثينة العيسى حتى الآن في أي مجال كان ولكن نرى أعمالها الأخرى تُدرس من جوانب مختلفة كرواياتها ***كبرت ونيست أن أنسى*** أو ***تحت أقدام الأمهات***. هناك أبحاث معدودة في مجال علم النفس التطوري وذلك في فروع مختلفة وأولها نظريات التحليل النفسي وعلم النفس التطوري في قضية الأنومية والعنف مقال كتبه جوان إل-باردک وترجمته هناء مصطفى عبداللطيف وطبع في مجلة الأمن العام عام (1992م) ودرس هذا المقال تأثير العنف على التطور والنمو لدى الأشخاص من الجانب النفسي. مقال آخر كتبته محترم نعمت طاوسي بعنوان ملخص البحوث في مجال علم النفس التطوري ونشر في عام(1383هـ.ش) والذي ذكر فيه ملخص لما درس في مجال علم النفس التطوري. مقال المرونة من منظور علم النفس التطوري كتبته مهديه سادات خشوعي وطبع في المجلة التربوية عام (1388هـ.ش) والذي يدرس فيه مدى مرونة الإنسان في الظروف المختلفة وتأقلمه مع الأحداث والصعوبات في مجال العلم التطوري والطفل، نذكر أطروحة الماجستير بعنوان فعالية ألعاب الانتباه على الوظائف التنفيذية للأطفال ما قبل المدرسة والذين يعانون من صعوبات التعليم العصبي والنفسي والذي بحثت فيه شيما قلمزن ودَلّ هذا البحث في عام (1390هـ.ش) على أن الألعاب تحسن اللغة والحافظة والمعرفة إلى حد كبير. يوجد أبحاث أخرى في مجال علم النفس أو العلوم التربوية وقلما يوجد أبحاث تمزج بين علم النفس والأدب العربي خاصة الأقاصيص، لذا نكتفي بما ذكرناه في الأعلى من دراسات سابقة.

2- بثينه وائل العيسى

بثينة وائل العيسى من مواليد الثالث من سبتمبر عام 1982، هي كاتبة وروائية كويتية حصلت على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال تخصص تمويل من كلية العلوم الإدارية في جامعة الكويت عام 2011. بالرغم من أن فترة احتلال الكويت عام 1991 كانت بالنسبة لبثينة هي فترة الطفولة والبراءة، إلا أن هذه الحرب غيرت نظرتها للعالم تماماً؛ فقد جعلتها ترى

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العالم بنظرة أخرى، عالماً مخيفاً ومشوشاً ومعقداً لدرجة كبيرة، هذا ما جعلها تبدأ في الكتابة عن الأشياء التي تخيفها ظناً منها أن هذا هو الحل للسيطرة والتحكم على مخاوفها.[1]

نذكر إنتاج العيسى الروائي في مايلي:

- إرتطام لم يسمع له دوي، 2004
- سعار، 2005
- عروس المطر، 2006
- تحت أقدام الأمهات، 2009
- قيس وليلى والذئب، 2011
- عائشة تنزل إلى العالم السفلي، 2012
- كبرت ونسيت أن أنسى، 2013
- خرائط التيه، 2015
- كل الأشياء، 2016
- حارس سطح العالم، 2019
- السندباد الأعمى: أطلس البحر والحرب، 2021.

أسست العيسى مشروع "تكوين" وهو مشروع ثقافي أدبي متخصص في الكتابة الإبداعية. أما عن الجوائز، فقد حازت بثينة على جائزة الدولة التشجيعية في مجال الرواية لعام 2006 عن روايتها "سعار" وفازت بالمركز الثالث في مسابقة الشيخة باسمه الصباح، فرع القصة، والمركز الأول في مسابقة هيئة الشباب والرياضة عام 2003 فرع القصة القصيرة. كما حازت على جائزة الدولة التشجيعية في مجال الرواية عام 2014 عن روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى"[2].

3- كتاب قيس وليلى والذئب

نشرت بثينه العيسى كتابها ***قيس وليلى والذئب*** في عام 2011 ليكون خامس أعمالها القصصية. هذا الكتاب هو مجموعة قصصية في قالب فلسفي جميل بلغة رائعة وشيقة عرضت بثينه العيسى أفكارها وصنعت نهايات واقعية لكثير من القصص الطفولية التي اعتدنا سماعها بنفس أحداثها ونهاياتها الناقصة[3]. ينقسم كتاب قيس وليلى والذئب إلى ستة أقسام بداية ***بحروف مخلوعة من جسد الحكاية*** ويختص بالأقاصيص الطفولية، والقسم الثاني هو ***مازلنا نبرح الأمثال ضرباً*** وكما يتبين من العنوان يختص هذا القسم بالأمثال ومدى الإعتبار منها. ***نزيف داخلي*** هو القسم الثالث لهذا الكتاب وتذكر فيه الكاتبة مشاعر الشاعر ومايعيشه من حالات نفسية صعبة. والقسم الرابع بعنوان ***الغابة مرة أخرى الذئاب تنضج على الأشجار***

[1] خليل، (2020م)، دون صفحة https://www.methaal.com/
[2] المصدر نفسه
[3] الخمايسة، (2020م)، دون صفحه kky.com/7https://www.e

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يتحدث عن المواقف الخيالية في القصص كفارس الأحلام والمرآة المتكلمة وماشابه وينتهي الكتاب بقسمي ***أرجوحة السماء*** و***زمن الحليب*** الذي يشير إلى آمال وأحلام الإنسان.

4– جان بياجيه

ولد جان بياجه في نوشاتل_سويسرا في التاسع من آب سنة 1896. والده أستاذ مادة التاريخ في جامعة البلدة وأمه كانت تنتسب إلى بعض العائلات الشديدة التعلق بالبروستانتية. إن أول إهتماماته بعلم النفس قادته إلى مشاكل التحليل النفسي وعلم النفس العلاجي، لكن هذه الاهتمامات ساعدته على توسيع مدى معارفه ولم يفضل الابتعاد كثيراً في هذا المجال نحو الحالات الشاذة مفضلاً دراسة حالة الأسوياء وعمل الذهن على الغوص في مخاطر اللاوعي. خلافاً لما انتشر عن اخباره فقد اهتم بياجيه كثيراً بالتحليل النفسي وهناك نصوص عديدة من مؤلفاته تؤكد ذلك، فقد كتب في أحدى المنشورات سنة 1920 التحليل النفسي وعلاقته بسيكلوجيا الطفل، وقد نشر في مجلة فرنسية عن التحليل النفسي مقالاً بعنوان «التحليل النفسي والنمو الذهني» سنة 1922. قد نجد شيئاً من تأثيرات التحليل النفسي في كل مؤلفات بياجيه[1].

اهتم بياجيه بين السابعة والعاشرة من عمره بالميكانيكا أولاً ثم اتجه إلى تربية العصافير، وبعد ذلك اهتم بالمتجمدات من العصور الجيولوجية الثانية والثالثة، وبالأصداف البحرية وعمل منها مجموعات مختلفة، وفي الحادية عشرة من عمره كتب مقالاً عن العصفور الدوري وأرسله إلى إحدى المجلات في نويشاتل. ولشدة اهتمامه بهذه الأمور حصل على إذن من مدير متحف العلوم الطبيعية (بول جوده) لزيارة المتحف مرتين في الأسبوع كي يساعده في لصق الأسماء وتنظيم مجموعات الصدف الآتية من المياه الصافية. هذا العمل الذي دام أربع سنوات جعله هو نفسه يحب البحث عن الصدف. وعند وفاة المدير (بول جوده) سنه 1911، نشر عدة مقالات حول الصدفيات الكلسية في سويسرا، والسافوا، وريتانيا، وكولومبيا، وقد حاول العديد من العلماء الاتصال به ومناقشته في هذه الموضوعات رغم صغر سنه. هكذا نشأ بياجيه في بيئة علمية تحيط به الأبحاث والنشرات الثقافية، وقد ساعدته الأعمال التي تعود القيام بها على التفكير والبحث العلميين[2]. انتج بياجيه مؤلفات ومنشورات غنية وضخمة كما أنه كان يتبع نظاماً خاصاً في الكتابة وهذا ما تسبب بتجمع عدد كبير من المؤلفات له.

4–1التطور المعرفي ومراحله

يمثل علم النفس التطوري جُماعاً لعلمي البيولوجيا التطورية وعلم النفس المعرفي، بحيث يمكن تشبيه هذين العلمين بقطعتين في لعبة تركيب قطع اللغز، نحتاج لكليهما، إذا ما أردنا فهم السلوك البشري[3]. التكوين عند بياجيه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم البنية structure الذي يخضع بدوره لمبادئ التحول والتطور: فالتكوين هو انتقال من الحالة (أ) إلى الحالة (ب)، التي ينبغي أن تكون أكثر تطوراً وثباتاً من الحالة (أ).. أي أنه يشكل مجموعة نظم تحددها التحولات، والتطورات الحاصلة خلال مرحلة الانتقال من (أ) إلى (ب)، وعلى هذا الأساس بالذات يحصل تطور الطفل فتتم عملية التكوين والبناء بشكل

[1] شربل، موريس، (1986م)، **التطور المعرفي عند جان بياجيه**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص21

[2] بياجية، جان، (2004م)، **الإبستمولوجيا التكوينيه**، سوريا، دار التكوين،14

[3] ايفانز، ديلان وآخرون، (2016م)، **علم النفس التطوري**، مصر، المركز القومي للترجمة، 13

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

TAWASOLIA JOURNAL مجلة دراسات توصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

متداخل ومستمر إلى أن ينتقل الطفل من حالة البنية المترجرجة إلى حالة البنية المستقرة والثابتة[1]. يعتقد بياجيه أن التطور هو التغيرات التدريجية المنتظمة في بنية الفرد وسلوكه ويتضمن التغيرات الجسمية والوظيفية والسلوكية، وأن للتطور جوانب جسدية، فيسولوجية، حركية، عقلية، انفعالية، واجتماعية ولغوية وهذه الجوانب مترابطة يؤثر بعضها في البعض الآخر. فإن التطورات الحادثة في التطور ترتبط ارتباطاً منتظماً بالعمر الزمني فقد تكون في صورة تحسن كما هو الحال قي التحول من الطفولة إلى المراهقة وإلى الرشد أو تكون حالة تدهور كما يحدث في مرحلة الشيخوخة، وأيضاً أن التطور حصيلة تفاعل النضج والبيئة والتعلم، وعليه فهو مفهوم مركب لأنه يشتمل على مفاهيم النضج والنمو والتعلم[2]. في ما يلي سندرس مراحل النمو التطوري عند جان بياجيه وهي المرحلة الحسية الحركية، ومرحلة ما قبل الإجرائية، ومرحلة العمليات المحسوسة، وأخيراً مرحلة العمليات الشكلية[3]، وسنذكر نماذج من أقاصيص قيس وليلى والذئب ليتبين لنا هل نستطيع أن نروى الحقيقة للأطفال كما هي مثلما ذكرت بثينة العيسى في كتابها أم ستؤثر هذه الحقيقة القاسية على النمو التطوري عند الطفل.

1-4-1المرحلة الحسية الحركية

تبدأ هذه المرحلة من الميلاد حتى سن الثانية تقريباً، وفي بداية هذه المرحلة لا يستطيع الطفل التمييز بين أعضاء جسده والعالم الخارجي المحيط به. يتعلم الطفل في هذه المرحلة أن يتابع الأشياء بصرياً وأن يمسك الأشياء بيديه والمظاهر البسيطة للنمو الحركي والإدراك الحسي مثل الرؤية، السمع، اللمس، الشم والتذوق. من حوالي الشهر الثامن يبدأ الطفل في تمييز العالم الخارجي كشيء له وجود منفصل عن ذاته، وفي حوالي الثانية عشر شهراً تقريباً يبدأ الطفل في اللعب وتظهر بوادر اللعب الرمزي فهو يلعب بأدواته كرموز فينظر إلى العصا على أنها سيف والدمية على أنها أخته أو زميلته والصندوق على أنه حصان وهكذا[4]. بعد تعريف هذه المرحلة من حياة الطفل نرى أنّه لا يمكننا سرد القصص من هذه المرحلة حتى بشكلها الجميل الخيالي لأن الطفل لايعي الأشياء إلا كما يفسرها هو لنفسه ولم يتعرف على الكلمات ومعانيها بعد، لذا لاتعني له القصص وأحداثها لأنه لم يرها ولم يلمسها ولاتشبه شيئاً في مخيلته. على سبيل المثال، لا يعرف الطفل في هذه المرحلة ما معنى غابة وذئب أو ما معنى أن تكبر حبة الفاصوليا ليتسلق منها سام. فكل ما يعلمه هي المحسوسات القريبة من متناول يده.

لذا نستنتج أنّه في هذه المرحلة لايمكن سرد القصص للأطفال لأنهم لم يتعرّفوا بعد على الكثير من المعاني وإن كانت الأغاني والأشعار تثير فيهم الأحاسيس فهذا لوجود الموسيقى واللحن فيها وليس لفهمهم المعاني.

1-4-2مرحلة ما قبل الإجرائية

هذه المرحلة تبدأ من سن الثانية حتى سن السابعة، وفيها تنمو القدرات العقلية للطفل، على تمثيل وتكوين الصور الذهنية عن الواقع الخارجي، ويتعلم الطفل في هذه المرحلة أن يستخدم اللغة، وتزداد درجة تفاعله الإجتماعي عن المرحلة الحسية الحركية، وتنقسم مرحلة ما قبل الإجرائية إلى مرحلتين فرعيتين هما: مرحلة ما قبل المفاهيم (من سنتين إلى أربعة سنوات)،

[1] ايفانز، ديلان وآخرون، (2016م)، علم النفس التطوري، مصر، المركز القومي للترجمة، 27
[2] العناني، حنان عبدالحميد، (2014م)، **علم النفس التربوي**، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ص100
[3] عويضة، كامل محمد، (1996م)، **علم نفس النمو**، لبنان، دار الكتب العلمية، ص 87-85
[4] المصدر نفسه: ص 16

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومرحلة التفكير البديهي أو الحدس (من 4 سنوات إلى 7 سنوات)[1]. يستطيع الطفل في الطور الأول القيام بعمليات التصنيف البسيطة حسب مظهر واحد كمظهر الطول مثلاً، ويقوم الطفل في الطور الثاني ببعض التصنيفات الأصعب، حدساً، أي بدون قاعدة يعرفها. كما يبدأ الوعي التدريجي بثبات الخصائص أو ظاهرة الثبات[2]. في هذه المرحلة ومع تعرف الأطفال على المعاني يمكننا أن نقص لهم القصص المختلفة ولكن يجب علينا أن نجعل حالتهم النفسية على عين الاعتبار. ربما قد نكون منتبهين جميعاً على أن الأقاصيص الطفولية مبنية على الأنانية وهذا لأنه «من العام الثاني إلى الرابع ينتقل الطفل إلى مرحلة التفكير الأناني، بحيث يتعذر عليه فهم وجة نظر الآخرين وكل هَمَه ما يريده هو»[3]. «***عادت الجدة إلى السرير، وغادر الصياد حاملاً جثة الذئب على ظهره...***[4]»، في هذه المرحلة من العمر نستطيع سرد قصة ليلى والذئب للأطفال بشكلها المعتاد لأنه قد تعرّف على الجدة وهي شخص لطيف يحبه الأطفال ويعرف أن الذئب دالٌ يطلق على موجود خبيث شرس يؤذي كل ما حوله، لذا قتل الذئب واجب للنجاة وبما أن الطفل في هذه المرحلة مزوّد بالأنانية فقتل الذئب حدث ممتاز بالنسبة له ولكن القسم الأخير من القصة لايمكننا سرده للطفل لعدم إدراكه الحقيقة وكيف للوحش أن يكون قوياً يقدر على العيش وإنّ أكله الجدة فيصاب الطفل برعب من فقدان الأحباء، وكيف لليلى أن تتمنى جدتها كالذئب! فهو موجود خبيث لايجب أن يتشبه به أحد. في صفحات أخرى من كتاب قيس وليلى والذئب نرى: «***فوجئ الأقزام السبعة ببكاء سنووايت، وسرعان ما تحلقوا حولها لمواساتها، فراحت تخبرهم عن الملل والوحشة والوحدة التي تشعر بها في ذلك القصر البارد، والسرير البارد، والقلب البارد، والوجه البارد و...***»[5]. نهاية حكاية سنووايت والأقزام السبعة تنتهي بسعادة كما اعتدنا ولكن كيف إذ قلنا لطفل ما إنّ سنووايت عاشت تعسة؟ بالتأكيد لن يتقبل هذا الشيء لأن نهاية الطيبة واللطافة، هي السعادة لامحالة ولأن الطفل هو يريد السعادة لنفسه أيضاً. فإذا قلنا للطفل بأن الحياة قد تكون قاسية وغير عادلة في الكثير من الأحيان، على الأغلب سيشعر بيأس يمتد في نفسه. ذكرت العيسى قصة الجميلة والوحش بشكل مختلف وما ذُكر هو وجه آخر للقصة: «***بعد ما تحول الوحش إلى أمير وسيم شعرت جميلة بالغبن، لأن الرجل الذي أحبته لم يعد يشبه نفسه، عاداته وطبائعه تغيرت، لم يعد يحب إطعام الحمام ولا قراءة الروايات قبل النوم، ولو أنها علمت بأن حلف قراء الوحش الدافئ وجهاً بهذه البرودة لما تورطت في هكذا علاقه...***»[6]. خيبة الأمل التي نصادفها بقراءتنا لهذه النهاية لايتقبلها الطفل في مرحلة ما قبل الإجرائية، فبعد أن تعاطف الطفل مع الوحش وكان ينتظر تحوله إلى إنسان عادي لا يمكننا أن نفاجئه بأنانيته وتكبّر الوحش. إلى هنا نرى أنّه علينا أن نسرد القصص بشكلها الجميل ولونها الوردي للأطفال لفقدانهم القدرة على التفكير المنطقي وأيضاً لتلبية توقعاتهم في كل قصة، فالخير ينتهي بالسعادة

[1] عويضة، كامل محمد، (1996م)، **علم نفس النمو**، لبنان، دار الكتب العلمية، ص85
[2] العناني، حنان عبدالحميد، (2014م)، **علم النفس التربوي**، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ص114
[3] حقي، ألفت، (1996م)، **سيكولوجية الطفل**، مصر، مركز الاسكندرية للكتاب، ص26
[4] العيسي، بثينة، (2011م)، **قيس وليلى والذئب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص11
[5] المصدر نفسه: ص 17
[6] المصدر نفسه: ص 27

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والشر يختفي في النهاية. غير أن الكثير من الأطفال ليست لديهم المرونة الكافية للتأقلم مع ظروف الحياة المتغيرة، فلذا من الممكن أن تحملهم النهايات الأخرى للقصص إلى الإحباط والخوف والتشتت الفكري.

في مثال آخر من القصص الطفولية، نشير إلى حكاية العنزة الأم وبناتها السبع. عند سرد هذه الحكاية نرى أنفسنا إلى جانب العنزة وأطفالها وبما أن الطفل يتعلق جداً بأمه فسيتعاطف أيضاً مع صغار العنزة بجعل نفسه مكانهم. تذكر العيسى نهاية الحكاية بهذا الشكل: «*... فقصت العنزة بطن الذئب واستعادت صغارها الذين بقوا –بقوة الخير وحدها– أحياء في بطن الذئب، ثم وضعت في بطنه ستة أحجار ثقيلة وخاطته بإبرتها ذاتها التي تثبت بها الأزرار المخلوعة من قمصان صغارها، واختبأت بين الشجيرات لكي تشهد هي وبناتها السبع مصرع عدوهم اللدود، لأجل أن ينتصر الخير، وينحسر الشر، كما هو خليق بأي حكاية سعيدة. استيقظ الذئب من نومه وهو يشعر بعطش فظيع، أحس بأمعائه تتقطع ورأى الدماء تلطخ وبره من كل صوب، تحامل على نفسه ونهض ليخطو ثقيلاً صوب البئر القريبة، ولما أدنى رأسه من الماء انكب على وجهه لتبتلعه غيابات الجب المظلمة، وهناك، في ذلك المكان السحيق من الحكاية، تُرك الذئب ليموت، اقتحم الماء منخريه وعباً رئتيه إذ هو ينتفض في ظلمة البئر وينادي تحت الماء...لوّح الذئب بيديه وساقيه بكل ما تبقى له من غرائز البقاء.. على أمل أن يطفو، ولكن الأحجار التي زرعوها في بطنه سحبته أكثر إلى تحت.. تحت.. تحت... وعندما انقطع الخيط الذي خاطت به العنزة بطن الذئب، شهد في لحظاته الأخيرة خروج قلبه وكبده وأمعائه وكليتيه.. كانت أحشاؤه الداخلية كلها تطفو.. مسكين الذئب، فقد أكل عندما جاع! لم أكن أعرف بأن هذه خطية!*»[1]. لاشك أن بثينة العيسى اتخذت أسلوباً مؤثراً ورائعاً في نقل حقيقة الحال إن كانت الحكاية واقعية، ولكن هل يمكننا قص ما قرأناه للأطفال؟ بالتاكيد لا!. مع أن بعض الحكايات مشوّهة للفكر أكثر مما تكون مصلحة ولكن من جانب آخر لايمكننا أيضاً سردها كما هي، و هذه الحكاية من أحب الحكايات لقلب الأطفال لأن الأنانية عندهم تتشبع بقتل الذئب. وبما أنه تعايش مع العنزة فلم يتفهم طبيعة الذئب. في حكاية أخرى تتحدث العيسى عن سام والفاصوليا و تستنتج منها ما يلي: «*في المرة الأولى، سرق سام أموال العملاق لأنه كان مفلساً وجائعاً. في المرة الثانية، سرق سام دجاجة العملاق التي تبيض ذهباً، لأنه كان فضولياً وجشعاً.. في المرة الثالثة، سرق سام الآلة الموسيقية المفضلة لدى العملاق، لأنه ظن بأنه أحق بها من الآخر، كيف لا .. وهو الفتى الوسيم، والآخر مجرد عملاق قبيح؟ ولما طارد العملاق سام لكي يستعيد مسروقاته، قطع سام ساق الشجرة السحرية، فانكب العملاق على وجهه بطول المسافة بين السماء والأرض، وسقط صريعاً ... لأنه كان –أي سام– قاتلاً. وهكذا يا أصدقائي! تخلص العالم من العملاق الشرير، الذي أخطأ خطأً جسيماً... وطالب بحقوقه!*»[2]. لا تحمل هذه الحكاية أي هدف أو غاية تعليمية للأطفال غير أنها تنمي قدرة التخييل لديهم، ولكن مع هذا لانستطيع سرد الحكاية للأطفال كما نراها في الأعلى لأن الطفل قد تعرف في هذه المرحلة على بعض المعاني وليس كلها وأيضاً فهو لم يتعرّف بعد على التفكير المنطقي، فماذا تعني

[1] العيسي، بثينة، (2011م)، **قيس وليلى والذئب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص25

[2] المصدر نفسه: ص 27

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الحقوق وما معنى قاتل إن كان العملاق مخلوقاً بشعاً وشريراً كما هو في الحكاية!. فلذا بالاضافة إلى أن هذه القصة تسرد دون هدف تعليمي، لانستطيع أيضاً البوح بأن بطل الحكاية سام هو جشع كما وصفته العيسى، وذلك نتيجة لتوقعات الطفل من البطل بأن كل ما يفعله هو صائب وناتج عن ذكائه. ربما يُفترض على بعض الحكايات أن تنتهي صلاحيتها للسرد كسام والفاصوليا.

1-4-3مرحلة العمليات المحسوسة

تمتد هذه المرحلة من 7 إلى 12 سنة، وهي تشمل الأطفال في مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة، هذا ويشير اصطلاح العمليات المحسوسة (العينية) إلى العمليات العقلية التي يستطيع الطفل أن يقوم بها نحو الأشياء المحسوسة التي تقع في معرض ملاحظته. وأن العمليات المحسوسة (العينية) تظل محصورة في حدود الخبرة الحسية. ويستطيع الطفل في هذه المرحلة أن يفكر تفكيراً منطقياً بسيطاً لا يرقى إلى التفكير المنطقي المجرد. والطفل في هذه المرحلة سوف يتعلم أن يؤدي أنماطاً مختلفة من العمليات الشكلية المجردة (التجريدية). من أهم خصائص العمليات العقلية خلال مرحلة العمليات المحسوسة (العينية) هي ضمور واضمحلال التمركز حول الذات واستخدام المنطق البسيط، وأن هذه العمليات العقلية تمد الطفل بوسائل تحرير نفسه من قيود العالم الطبيعي. ومن خلال ممارسات الطفل لعنصري التكيف– وهما المماثلة والملاءمة للتكيف مع حقائق العالم الخارجي– تنمو لديه امكانية الاحتفاظ بمعلوماته[1]. في هذه المرحلة تُضاف ثلاث عوامل فعالة للشخص وهي: التأثير– والإرادة– والإدراك. وهذه العوامل لها علاقة بالحواس، وهي متلازمة فيما بينها وذلك: عندما تسمع صراخ طفل بإزعاج، تشعر بمشاركة وجدانية نحوه وهذا يسمى بـ(الإثارة) أما الأمر الآخر وهي (الإرادة) وتعني الذهاب إلى الطفل من أجل مساعدته، أما الأمر الثالث وهو (الإدراك) وهذا يتمثل في طريقة المساعدة، وهذه العوامل متلازمة بالشعور الحسي[2]. نرى أن في هذه المرحلة يمكن للطفل أن يشعر ويدرك ما حوله من مشاعر وأحاسيس ويرتبط هذا الإدراك بشعوره الحسي. يبدأ هذا الإدراك بالتنبيه أو الإثارة وقد يكون هذا المنبه خارجياً أو داخلياً وكلاهما يثير نوعاً خاصاً من الطاقة التي تؤثر في الخلايا الحسية. ظهور هذا التأثير في المشاعر يسبب بالانتباه والذي يعد الشرط الأول لتعرف الإنسان على بيئته وما قبلها حتى يتسنى له التكيف معها واستغلالها وحماية نفسه من أخطارها ليصل إلى الإدراك وهو عملية هامة في توافق الإنسان مع بيئته التي يعيش فيها، فهو يؤثر في انطباعاته كلها عن العالم الخارجي، فاستجابة الإنسان لموقف ما يتوقف على طريقة إدراكه لهذا الموقف، وقد يدرك الأفراد المختلفون الموقف الواحد بطرق مختلفة، ولذلك يستجيبون له استجابات مختلفة[3]. في هذه المرحلة يمكننا أن نوضّح الحكايات للأطفال بتفاصيل أكثر وأدق. لربما تكون نهاية حكاية سنووايت والأقزام السبعة تعسه! فلا شيء يضمن لنا السعادة الأبدية، ولكن هنالك الكثير لنفعله حتى نعيش متمتعين بقدرٍ من الراحة والطمأنينة. في المراحل السابقة كان الطفل يتأقلم ويتقبل سَكَن سنووايت مع سبعة أقزام لأنهم رجال طيبون ولكن في هذه المرحلة وللوهلة الأولى نستطيع أن نتكلم مع الطفل عن مفهوم الثقة وهل من الصحيح أن تعيش فتاة ما مع سبعة رجال غرباء في

[1] عويضة، كامل محمد، (1996م)، **علم نفس النمو**، لبنان، دار الكتب العلمية، ص78
[2] الزبيدي، حسين بن سالم، (2015م)، **علم نفس النمو**، عمان، الوراق للنشر والتوزيع، ص 66
[3] الفلفلي، هناء حسين، (2013م)، **علم النفس التربوي**، الأردن، كنوز المعرفة، 1730166

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بيت واحد؟ بالتأكيد لا! لأن الثقة مفهوم صعب وشيء ثمين للغاية ولا يمكن منحه لكل شخص في أول لِقاء. و لهذا، تحتاج الثقة إلى معرفة عميقة وثقة سنوايت بالأقزام هي مخاطرة كبيرة. وأما المفهوم الثاني وهو السعادة، فنحن اعتدنا على النهايات السعيدة للحكايات دون استثناء، وهذا يجعل الطفل يكبر في هالة أو وهم من التفاؤل الكاذب وإذا استمر هذا التفاؤل فسوف يُصعق بالحقيقة. من الأفضل أن نفسّر مفهوم السعادة للأطفال بشكل حقيقي، فمثلاً يجب أن نعلّمهم بأن ما يسمى بالسعادة ينتج عن الفهم والتفهم والواقعية. فالحياة مزيجة من الأسود والأبيض ولاتوجد سعادة مطلقة، ومن الممكن أن لاتكون النهاية مثالية كالمعتاد. تنتهي حكاية الجميلة والوحش في كتاب قيس وليلى والذئب بأنانية الوحش وتكبره لأنه رأى جماله ووسامته. فهذا أيضاً ممكن، لأن إصابة الشخص بالتكبر محتملة جداً بالأخص لحالة كحالة الوحش. ***«مع مرور الوقت، أخذ الأمير يستعيد إحساسه بوجه، فهالته وسامته الاستثنائية، وشعر بالظلم الذي وقع عليه كونه حرم من بهاء جسده وجمال محياه بسبب لعنة الساحرة الشريرة، وصار يتسمّر أمام المرآة لأيام ويتمتم «لست وسيماً فقط! بل أنا أوسم رجل عرفته في حياتي»... كانت هذه حاله على الدوام حتى إنه نسي أن ينظر إلى «جميلة» التي قبلته وأبطلت السحر، والأدهى من ذلك، أنه لما لاحظ وجودها مرة –بالخطأ– شعر بأنها ليست بالجمال ذاته الذي فتن به يوم كان وحشاً مخيفاً»***[1]. في هذه المرحلة من العمر تقّل أنانية الطفل ويبدأ بتفهم الآخرين، لذا يمكننا أن نفسر له مفهوم التكبّر الذي أصاب الوحش، فكان موجوداً قبيحاً وحيداً لايحبه أحد، فلما تغير وأصبح جميلاً غرّته وسامته وتكبّر على أقرب الأشخاص له والتي كانت السبب في تغييره للأفضل، غير أن الطفل سيواجه الكثير من هذه الحالات في حياته الاجتماعية لكثرة الحالات النفسية التي تسبب في الأنانية والتكبر والتعجرف. فليست النهايات كلها سعيدة.

«مسكين الذئب، فقد أكل عندما جاع! لم أكن أعرف بأن هذه خطيئة»[2]. في هذه المرحلة من العمر وعلى اعتقاد بياجيه إنّ الطفل يدرك المؤثرات، فمثلاً الجوع هو ما يدفع كل مخلوق للبحث عن الطعام لدوام حياته، فإن لم يعثر على شيء جاهز فسيصطاد بالتأكيد، وهذا الحال عند الذئب أيضاً. فإن أكل الذئب العَنزة فهذا واجب لبقائه على قيد الحياة وليس لأنه شرير وأيضاً لايستحق ما فعلت به الأم!. وأيضاً بعد أن نجحت في إنقاذ ابنتها من بطن الذئب، فلا داعي لوضع الحجر في بطنه ليؤدي إلى موته. فقوانين الغابة هذه يجب علينا تفسيرها للطفل حتى لايحقد على مخلوق ما دون أن يفهم المسببات والدوافع. أما في حكاية سام والفاصوليا فلابد لنا أن نفسر ما معنى الحقوق للطفل، ***«في المرة الأولى، سرق سام أموال العملاق لأنه كان مفلساً وجائعاً. في المرة الثانية، سرق سام دجاجة العملاق التي تبيض ذهباً، لأنه كان فضولياً وجشعاً... في المرة الثالثة، سرق سام الآلة الموسيقية المفضلة لدى العملاق، لأنه ظنّ بأنه أحق بها من الآخر، كيف لا ... وهو الفتى الوسيم، والآخر مجرد عملاق قبيح؟»***[3]. في المراحل السابقة للتطور لم تكن هذه المفاهيم شفافة للطفل لأنه لا يرى الحياة بجدية، فيعتقد الطفل إنه إذا أخذ شيئاً أحبه فلم يحاسب عليه. ولكن في هذه المرحلة ومع تقدم الطفل وتطور ذهنه وأفكاره يجب علينا أن نوضّح له مفهوم الحقوق. كل شخص نراه على وجه الأرض له حقوق

[1] العيسي، بثينة، (2011م)، **قيس وليلى والذئب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص21
[2] المصدر نفسه: ص 25
[3] العيسي، بثينة، (2011م)، قيس وليلى والذئب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص25

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ويجب علينا احترامها والحفاظ عليها بغض النظر عن مظاهر الشخص. فإن كان الشخص أقل وسامة أو أقل جمالاً منّا فهذا لا يعني استحقاقنا ما يخصه وإن كنا محتاجين لما لديه. جوع سام وإفلاسه ليس بسبب كافٍ لسرقة أموال شخص آخر وإن كان عملاقاً مخيفاً، والفضول أيضاً تبرير بشع لأخطاء نرتكبها بحق غيرنا، فكيف يسرق سام ما لايخصه فقط لأنه شعر بالفضول؟ وهل يحب طفل في السابعة من عمره أن يحدث في حقه هذا الشيء؟. في السطر الأخير نرى أن سام سرق الآله الموسيقية المفضلة للعملاق لأنه وسيم ومتكبر ويظن أن العملاق لايستحق هذه الآلة لكونه قبيحاً! وهل المختلفون يُحرم عليهم العيش؟ وبأي منطق تُسلب حقوق الآخرين بذَريعة أنّهم مختلفون؟. ففي هذه المرحلة يجب أن نعلّم الطفل بأن احترام حقوق الآخرين مهما كانت إختلافاتنا واجب علينا. ننتقل إلى قصة سندريلا ومفهوم الثقة: «***فقد عثر الأمير في حفلة الأمس على فتاة أحلامه، وراقصها، وخاصرها، وأمسك يدها، فهربت منه و تركت له حذاءًا!***»[1]. من الخطأ أن تثق الفتاة أو الفتى بأي شخص وإن كان أميراً. هذا النوع من القصص ينمي لدي الطفل ثقة كاذبة وهذا سيؤدي به إلى مشاكل ومتاهات مختلفة. لايجب على الشخص الوثوق بالآخرين دون معرفة ما يريده وما يسعى إليه غير أن الطفل يجب أن يكون محتاطاً أكثر من الآخرين لكونه معروضاً للخطر بشكل أكبر لجهله وضعفه. في هذه المرحلة نستطيع أن نتكلم مع الطفل عن ماذكرناه في الأعلى ولكن التفاصيل الأخرى من الأفضل تأجيلها للمرحلة التالية من مراحل التطور عند بياجية ليتفهم الطفل حقيقة الحياة ونقلل من الصدمات المحتملة.

4–1–4مرحلة العمليات الشكلية

تمتد هذه المرحلة من 12 سنه فما فوق وهي تشمل مرحلة المراهقة المبكرة، وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل الراقية في نظرية بياجيه للنمو التطوري، وهذه المرحلة تنمو عند معظم المراهقين الذين يستكملون تعليمهم المدرسي. وهي مرحلة إعلان استقلال عقل الإنسان وتفتحه، فالمراهق يحلم بحياة سعيدة، ويدرك معنى الحياة والموت، ويدرك معنى الخالق ومعنى وجوده وهكذا. ففي هذه المرحلة يستطيع المراهق التعامل مع عمليات التفكير المجرد ويستطيع أن يكشف المبادئ أو القواعد العامة من خلال عدد من الوقائع والأحداث النوعية وأن العمليات الشكلية (التجريدية) تمر بمرحلتين أولهما: استخدام المراهق للتفكير (الاستدلال) الاستنباطي في حل المشاكل، وثانيها: أن المراهق تزداد قدرته على استخدام التفكير (الاستدلال) الاستقرائي، أي يستطيع استنتاج العام والخاص والعلة والمعلول[2]. في هذه المرحلة ينمو التفكير عند الشخص ويساعد الفرد كي يصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعوبات والمشكلات التي تعترض طريقه، وفي جميع نواحي الحياة سواء كانت اجتماعية أم اقتصادية أم تربوية أم أخلاقية أم سياسية. يصنف التفكير إلى فئتين رئيسيتين وهما: التفكير الأساسي والتفكير المركب. يشمل التفكير الأساسي الأعمال اليومية الروتينية التي يقوم بها الفرد ويستخدم فيها العمليات العقلية بشكل محدود كاكتساب المعرفة وتذكرها، والملاحظة، والمقارنة، والتصنيف، والتفكير الحسي، والعلمي. يحدث التفكير المركب عندما يقوم الفرد بتفسير وتحليل المعلومات ومعالجتها للإجابة عن سؤال، أو حل مشكلة لايمكن حلها من خلال الاستخدام العادي لمهارات التفكير الأساسي. وتتطلب إصدار أحكام أو إعطاء رأي، واستخدام معايير ومحكات متعددة للوصول إلى نتيجة.

[1] العيسي، بثينة، (2011م)، **قيس وليلى والذئب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص28

[2] عويضة، كامل محمد، (1996م)، **علم نفس النمو، لبنان**، دار الكتب العلمية، 88-87

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ويشمل هذا التفكير، التفكير الناقد، والإبداعي، وما وراء المعرفي، والاستدلالي، والتأملي، وغيرها[1]. بما أن الفرد في هذه المرحلة من حياته يتمتع بالمنطق والتفكير السليم فلابد لنا أن نفسر له حقيقة الحياة بتفاصيل أدق. «***ولكن يا سنوايت، أنظري ماذا فعل لك العالم وأنت جميلة... ماذا سيحل بنا في هذا العالم المولع بالأذى، ونحن أقزام قبيحة الشكل؟***»[2]. والمظاهر البدنيّة ليست مهمة لتيعيّن كيف سيعيش الإنسان، وقُبح الأقزام لايعني بأنهم سيعانون بالتأكيد، ولكن ومن جانب آخر يمكن للحياة أن تكون قاسية إلى حد كبير، إلى حد أن يخاف الأقزام منها. والنهايات السعيدة موجودة بلا دوام وثبات. لذا وفقاً لنظرية بياجيه وتفكير الإنسان المنطقي يمكن لنا تعريف موضوع الواقعية للفرد. في صفحات أخرى من كتاب قيس وليلى والذئب، نقرأ في قصة الضفدعة والأمير: «***ما من ساحرة نلقي عليها باللائمة، وما من قبلة تبطل السحر أو تأتي به! هو لم يلتفت إليها قط، وهي مازالت تنتظر بصبر نافد...***»[3]، وهكذا ندرك أننا لايجب أن نلقي اللوم على الأخرين دائماً. فلربما ما نريده ليس لنا أو ليس لصالحنا!. لا يوجد ساحرة لنتهمها بما يصيبنا من مصائب ومشاكل فلذا نبحث عن الأسباب في داخلنا أولاً، وثانياً لربما لم يقع الحدث قط وهذا أبسط احتمال على عدم وصولنا لما نريد، فليس كل ما نتمناه حاضراً أمامنا فإن لم نعثر على ما يتمناه القلب لايجدر أن نلقي اللوم على ساحرة ما أو ماشابه. كل ما يفعله الإنسان هو ناتج عن ظروف عدة عاشها الفرد، فمثلاً في حكاية الجميلة والوحش، كان الوحش يعيش وحيداً ويتعلق بكل ماحوله خوفاً من فقدانه وهكذا تعلّق بالجميلة وأحبها وتزوجها وهذا بعد حَبسها لأيام في قصره، فمن الطبيعي أن هذه الحكاية وهذه العلاقة ليست بعلاقة سليمة. من ثَم النهاية التي ذكرتها العيسى في كتابها محتملة ويمكن حدوثها إلى حد كبير. لربما يصاب الفرد بالتكبر بعد أن كان منبوذاً من قبل الآخرين لشدة قبحه. ومن الممكن أيضاً أن يفكر الفرد بأنه استعجل في قراره بالاتباط، لأنّ الخيارات من حوله في زمن قبحه كانت قليلة أو شبه معدومه، أما بتغير شكله وحالته فستكثُر الخيارات لحياة مختلفة وهنا يبدأ الفرد في التفكير باستحقاقه الأكثر والأفضل. «***مع هذا، لم يجسر أي منهما على مصارحة الآخر بخيبة أمله، ولا بالتخلي عنه. هي لم تطلب الطلاق وهو لم يطلب الخلع، لماذا؟ لأن الحكايات التي تبدأ جميلة هكذا، ترتلها جميع كتب الأطفال، لا يمكن أن تنتهي على هذا النحو أبداً!***»[4]. فلابد للخطأ أن ينتهي يوماً ما. فإن البداية الجميلة لاتعني بأن النهاية أيضاً بنفس الجمال، لذا إن أخطأنا أو إخترنا ما لا يناسبنا فعلينا تصحيح ما فعلناه.

في هذه المرحلة يستوعب الشخص بأن الكثير من الحكايات هي من وحي الخيال ولا يمكن حدوثها في الحقيقة، كقصة العنزة وبناتها. كما قلنا في المراحل السابقة إنّ الصيد للذئب هو غريزته لبقائه على قيد الحياة ولا يمكننا لومه على طبيعته. فكل مخلوق في العالم يسعى للعيش والاستمرارية. «***..وهكذا يا أصدقائي! تخلص العالم من العملاق الشرير، الذي أخطأ خطأً جسيماً .. وطالب بحقوقه!***»[5]. بما أن الفرد يتمتع بالتفكير المنطقي والاستدلال في هذه المرحلة، فسيتبين له مدى

[1] العتوم، عدنان يوسف، (2012م)، **علم النفس المعرفي**، الأردن، دار المسيرة، ص215
[2] العيسي، بثينة، (2011م)، **قيس وليلى والذئب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 17
[3] المصدر نفسه: ص 18
[4] المصدر نفسه: ص 22
[5] العيسى، بثينة، (2011م)، قيس وليلى والذئب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص27

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

جشع سام وأنانيته، فلا يحق لأحد أن يقمع الآخر فقط لأنه يطالب بحقوقه المسلوبة وإن كان عملاقاً قبيحاً، فالحياة والحقوق للجميع، غير أن سام كان يعتقد بأنه أحق بأموال العملاق منه! وهذا لسوء حالته المعيشية، كما يعتقد غالبية الفقراء بأن الأثرياء هم السبب الأول والرئيسي في فقرهم. إن كنا نعيش في ظروف صعبة فلا يجب علينا لوم الآخرين أو سلب ما لديهم، فهذا الفعل لايبرر بشاعة سلب الحقوق!

في هذه المرحلة يدرك الفرد بأن الأمور لاتسير ببساطة ما نقرأه في الحكايات. في حكاية سندريلا نرى تبسيط الأمور إلى حد كبير في كل المجالات. رقص سندريلا مع شخص لم تعرف عنه شيئاً والعثور على شريكة حياة عن طريق فردة حذاء!. فيقيم الأمير حفلة ليختار من بين الفتيات من تناسبه وكأنهن سلع ملّونة، فيخاصر الأمير من يريد ويراقص من يريد ويمسك بيد من تعجبه وكل هذا فقط لأنه الأمير. عندما يصل الفرد إلى مرحلة العمليات الشكلية والتفكير المنطقي فستتبين له الخطوط الحمراء في الحياة وأخيراً نستطيع أن نطلع الشخص على واقع الحياة من مشاكلها والمخاطر والاحتمالات إلخ. وسرد بعض الأحداث بشكلها الواقعي للاطفال قد يؤدي إلى ظهور حالة نفسية معقدة فيهم. فكل شيء في الحياة يحدث تدريجياً وكذلك وعي الفرد يتشكل عام بعد عام، فيجب على كل أسرة أن تساعد في نمو فكر أولادها خطوة بعد خطوة ليبدأ التفكير بشكل منطقي وصحي.

5. خاتمة:

في نهاية هذا البحث نتوصل إلى أن مراحل نمو الفرد تنقسم إلى أربعة منها المرحلة الحسية الحركية، ومرحلة ما قبل الإجرائية، ومرحلة العمليات المحسوسة، ومرحلة العمليات الشكلية ولكل مرحلة خصائصها. سردت العيسى الحكايات بشكلها الواقعي بكل ما فيها من قسوة وغلظة. ولكن لا يمكننا سرد ما كتبته العيسى للأطفال بكل المراحل، فما ذُكر في كتاب قيس وليلي و الذئب من أقاصيص طفولية يختص بمرحلة العمليات والمحسوسة وما بعدها. لذا سرد الحقيقة للأطفال من الصواب ولكن وفقاً لمراحل نموه ومدى استيعاب الطفل للمفاهيم. في المرحلة الأولى لايمكن لنا أن نسرد للطفل القصص لأنه لم يتعرف على الكثير من المفاهيم بعد. ففي المرحلة الحسية الحركية لايستطيع الطفل التمييز بين أعضائه والعالم من حوله ويمكنه متابعة الأشياء عن طريق حواسه الخمسة، لذا لا يمكننا سرد الحكايات له لعدم فهمه. في المرحلة الثانية أو المرحلة ما قبل الإجرائية تنمو القدرات العقلية للطفل ويتعرف على العالم الخارجي ويزيد تفاعله الاجتماعي، فنستطيع أن نقص عليه القصص بمعناها الخيالي المبسّط ليستوعبها بناءً على معلوماته القليلة. وبما أن الخيال والتفكير الرمزي في هذه المرحلة يزيد عند الطفل فسوف يعيش الحكايات بتفاصيلها وإن كانت غير واقعية. فسيدرك وجود الشر على شكل وحش والخير على شكل بطل الحكاية وما يحدث من مفاجأت في القصص ولكن الجانب السوداوي من الحكايات فلا يمكننا قصها له، وذلك لاحتمالية مصابه بالرعب أو الحالات النفسية العصبية لعدم مرونة الكثير من الأطفال وعدم تأقلمهم مع الأحداث. أما في المرحلة الثالثة وهي مرحلة العمليات المحسوسة، فيستطيع الطفل أن يفكر تفكيراً منطقياً بسيطاً ليتفهم المواضيع من حوله بشكل أدق. فنستطيع أن نوضّح مفاهيم الكثير من الكلمات للطفل مثل الثقة، والحقوق، والحرية، والظلم وماشابه. ففي هذه المرحلة يستوعب الطفل ما هو منطقي وما ليس مقبولاً به في الحياة بشكل عام. سيتفهم الطفل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

بأن الاستعجال في الثقة أمر خطير وسلب حقوق الآخرين ذنب لا يغفر وقتل الذئب ليس له تبرير لأن هذه هي غريزته. ونسرد التفاصيل الأدق مثل الأسباب والدوافع التي تسبب هذه الأحداث في المرحلة التالية ليكون الفرد قد تَعرّف على مفاهيم الحالات النفسية التي تسبب حدوث واقعة ما. وأخيراً نصل إلى مرحلة العمليات الشكلية وهي مرحلة إعلان استقلال عقل الإنسان وتفتحه ويستطيع أن يكشف المبادئ أو القواعد العامة. هنا وفي المرحلة الأخيرة يمكن لنا أن نفسّر كل الأحداث كما هي للفرد وبما أنه حظي بالمنطق الكامل والتفكير الاستدلالي فسيبحث عن جذور كل فعل يراه من حوله. في هذه المرحلة يتفهم الفرد المشاكل النفسية الناتجة عن الظروف المعيشية، على سبيل المثال سيدرك بأن الكثير من قصص الحب الخاصة تحدث لعقد نفسية معيّنة وناتجه عن البيئة المحيطة به، كحب الوحش لالجميلة أو إنتظار الفتاة لفارس أحلام ينقضها أو الحقانية في إرتكاب الأخطاء. وأخيراً نتوصل إلى قص الحكايات تدريجياً ووفقاً للمرحلة التي يمّر فيها الطفل. وبالتأكيد يجب علينا سرد الحقيقة كما هي في المرحلة الأخيرة ليتفهم الفرد جدية الحياة ويبتعد عن البساطة الخيالية.

5. قائمة المراجع:

1. ايفانز، ديلان وآخرون، (2016م)، **علم النفس التطوري**، مصر، المركز القومي للترجمة
2. بياجية، جان، (2004م)، **الإبستمولوجيا التكوينيه**، سوريا، دار التكوين
3. الحديدي، علي، (1988م)، **في أدب الأطفال**، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية
4. حقي، ألفت، (1996م)، **سيكولوجية الطفل**، مصر، مركز الاسكندرية للكتاب
5. الخامدي، حسين عبدالفتاح، (2003م)، **الإتجاه المعرفي، نظرية بياجيه في النمو المعرفي**، دون مكان
6. داني، محمد، (2019م)، **أدب الأطفال**، دار البيضاء، –
7. رينولدز، كيمبرلي، (2012م)، **أدب الأطفال، مقدمة قصيرة جداً**، مصر، هنداوي للتعليم والثقافة
8. الزبيدي، حسين بن سالم، (2015م)، **علم نفس النمو**، عمان، الوراق للنشر والتوزيع
9. شربل، موريس، (1986م)، **التطور المعرفي عند جان بياجيه**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
10. الشرقاوي، انور محمد، (2003م)، **علم النفس المعرفي المعاصر**، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية
11. العتوم، عدنان يوسف، (2012م)، **علم النفس المعرفي**، الأردن، دار المسيرة
12. العناني، حنان عبدالحميد، (2014م)، **علم النفس التربوي**، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع
13. عويضة، كامل محمد، (1996م)، **علم نفس النمو**، لبنان، دار الكتب العلمية
14. العيسي، بثينة، (2011م)، **قيس وليلى والذئب**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
15. الفلفلي، هناء حسين، (2013م)، **علم النفس التربوي**، الأردن، كنوز المعرفة
16. ميلاد، محمود محمد، (2015م)، **علم نفس نمو الطفل المعرفي**، الأردن، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المواقع الإلكترونية

1. https://www.methaal.com/
2. https://www.e7kky.com/
3.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

EL TAWASOLIA JOURNAL مجلة التواصلية ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537